

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[22] وتذكر آخر آية - من هذه الآيات - قول المؤمنين لدى ركوبهم المركب، إذ يقولون:

(وإننا إلى ربنا لمنقلبون). هذه الجملة إشارة إلى مسألة المعاد بعد الحديث حول التوحيد، لأنّ الإِنْتِباَه إلى الخالق والمبدأ، يلفت نظر الإِنْسَان نحو المعاد دائماً. وهي أيضاً إشارة إلى أن لا تغترّوا عندما تكون هذه المراكب وتتسلّطون عليها، ولا تغرقوا في مغريات الدنيا وزخارفها، بل يجب أن تكونوا دائماً ذاكرين للآخرة غير ناسين لها، لأنّ حالات الغرور تشتد وتعمّق في مثل هذه الموارد خاصّة، والأشخاص الذين يتّخذون مراكبهم ووسائط نقلهم وسيلة للتعالي والتكبر على الآخرين ليسوا بالقليلين. ومن جهة ثالثة، فإنّ الإِسْتِواء على المركب والإِنْتِقَال من مكان إلى آخر يذكرنا بانتقالنا الكبير من هذا العالم إلى العالم الآخر. نعم .. فنحن أخيراً ننقلب إلى الله سبحانه. * * * ملاحظة ذكر الله عند الإِنْتِفَاع بالنعم: من النكات الجميلة التي تلاحظ في آيات القرآن الكريم، أنّ المؤمنين قد علّموا أدعية يقرؤونها عند التنعم بمواهب الله سبحانه ونعمه .. تلك الأدعية التي تصقل روح الإِنْسَان وتهذّبها بمحتوياتها البديعة، وتبعد عنها آثار الغرور والغفلة. فيأمر الله سبحانه نوحاً (عليه السلام) أن: (إذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين)(1). ويأمره أيضاً أن يقول عند طلب المنزل المبارك: (ربّ أنزلني منزلاً مباركاً _____ 1 - المؤمنون، الآية 28.